دور المرجعية الدينية في الواقع السياسي خلال العصر العباسي

الأستاذ المساعد
حمدية صالح دلي
جامعة القادسية ـ كلية التربية

دور المرجعية الدينية في الواقع السياسي خلال العصر العباسي

الأستاذ المساعد
حمدية صالح دلي
جامعة القادسية ـ كلية التربية

المقدمة:ـ

كثير من الناس يعتقد انه لا يوجد تداخل ما بين الدين والسياسة لاعتقادهم ان الدين شيء مقدس والسياسة ما هي الا كذب واحتيال، فحاولوا إبعاد الدين عن السياسة وعن الاقتصاد وعن العلوم الاخرى، على اعتبار ان الدين مسألة فردية تتعلق بين العبد وربه، وعلى ما يبدو ان هذه النظرية السلبية متأتية من الاسلوب المادي البحت الذي استخدمه رجال الدين النصارى واصدارهم لما يسمى بصكوك الغفران وغيرها من الألاعيب المبتدعة، وكذلك سوء العلاقة بين رجال العلم ورجال الكنيسة، فحاول المستعمرون استغلال ذلك واحالة السلبيات الى الدين فابتدعوا ما يسمى"الدين افيون الشعوب" وتدريجياً عممت المفردة لتشمل الدين الإسلامي فاستنفر الناس من تدخل الدين بالسياسة، إلا أنه في واقع الحال فأن الدين الإسلامي يختلف عن باقي الديانات وكذلك رجاله يختلفون عن رجال الديانات الأخرى، إذ كانوا هم وسيلة الاتصال بين الأئمة المعصومين عليهم السلام والناس وكانوا من بعدهم أئمة حق حري بنا الاقتداء بهم، ولعل التضحيات التي قدمها رجال الدين خلال التاريخ أكبر دليل على ما نقول.

المبحث الأول

الأصول الأولى للمرجعية

مفهوم المرجعية:-

مصطلح تقليد أو مرجع غير موجودين في أي نص شرعي، وإنما هما مستحدثان وليس لهما أساس من حيث كونهما تعبيران يدلان على مؤسسة تقليد هي مؤسسة ومرجعية، هي مرجعية التقليد، يعني مؤسسة من حيث كونهما اثنين لمؤسسة ليس لهما في الأخبار والآثار فضلاً عن الكتاب الكريم عين ولا أثر، وإن هذا الفهم كان من قبل الشيخ محمد مهدي شمس الدين الذي لم ينفرد به وحده[١]، بل هناك العديد ممن شاركوه هذا الرأي أمثال السيد محمود الهاشمي الشاهرودي الذي قال[٢] إن: (مسألة المرجعية مسألة مهمة جداً يجدر بحثها والوقوف عندها والتأمل فيها خصوصاً إن مصطلح المرجعية لم يرد في آية ولا رواية، بل هي مما انتهى اليه الفقهاء واكتشفوها من خلال روح الفقه وجوهره والذوق الفقهي، وقالوا لا يمكن أن يكون الشيعي من دون مرجع، ولا بد من تصدي المرجع لامورهم فاحرزوا المرجعية وأسسوها واعترفوا بها عبر التاريخ، ثم تحولت إلى أمر مسلم به تحت عنوان المرجعية لدى الشيعة)[٣].

ويضيف الشيخ شمس الدين قائلاً: (كل ما هو موجود في مادة قلد موجود في خبر ضعيف لا قيمة له من الناحية الاستنباطية إطلاقاً، وهو المرسل الشهير عن أبي الحسن، عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ومتداول على ألسنة الناس: "من كان من الفقهاء صائناً لدينه مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه)[٤].

فمادة قلد موجودة فقط بهذا النص، ولكن لا نعتمد عليها اطلاقاً، ومقلد

ومرجع لا أساس لهما، الموجود في الفكر الإسلامي والنص الإسلامي مصطلح الفقيه، والموجود في الكتاب والسنة مصطلح فقيه، في الكتاب (ليتفقهوا في الدين)[٥].

وفي السنة في جملة من النصوص أغلبها أو كثير منها ضعيف أيضاً، أو ليس صحيحاً في الدرجة المطلوبة، ولكنه موجود بدليل صدورها عن الإمام[٦].

بعد ذلك لعله بسبب التأثر ببعض الأوساط الفكرية نشأ مفهوم التقليد، الموجود في الشرع ليس التقليد وإنما الموجود هو الاتباع أو هو التعلق أو التفقه[٧].

فالفقيه لا يتمتع بأي قداسة على الاطلاق، وليس مؤهلاً لأن يكون متبوعاً على الاطلاق، إذن مفهوم التقليد هو مفهوم دخيل، فالفقيه هو من يعرف أحكام الدين وهو مفهوم واسع يمكن للجاهل بمعنى الاجتهاد أن يكون متعلماً في احكام الدين[٨]، ويمكن للفقيه العالم المستنبط أن يكون متعلماً في أحكام الدين[٩].

إذن فمصطلح مرجعية لا يوجد في النصوص الشرعية ولا في نصوص السنة الشريفة بجميع طرقها ومدارسها، ولا في الكتاب الكريم، الموجود في الفكر الإسلامي هو مصطلح فقيه فقط[١٠].

من خلال ما ذكر يفهم ان مصطلح المرجعية مصطلح حديث يعني من الناحية التنظيمية التكوين الطبيعي لكل مجتمع، إذ إن لكل مجتمع له مرجعيات سواء كانت في التنظيم السياسي أو الاقتصادي أو الديني أو غيره[١١].

إذن المرجعية أحد مظاهر انتظام المجتمع، وهذا من الضرورات التنظيمية للمجتمع أن تكون هناك مرجعيات بهذا المعيار[١٢]، وفي الحقل الديني المحض، النبي ﷺ مرجع، الإمام المعصوم مرجع، وكيل النبي أو الإمام في شأن مالي

أو تجاري مرجع، وإذا كان وكيلاً أو ممثلاً في التبليغ فهو مرجع في الدين[١٣].

دور الأئمة المعصومين عليهم السلام في تهيئة رجال الدين:-

هيأ الأئمة المعصومون عليهم السلام الأرضية الفكرية المناسبة لاستيعاب الطاقات العلمية والعقلية، وذلك من خلال رعايتهم لهذه الطاقات التي يتوسمون فيها الاهتمام بطلب العلم، والقدرة الفعلية على التلقي، والمواهب العلمية المناسبة، حتى أصبح هؤلاء من المتميزين في خصائصهم ومميزاتهم العلمية الأخلاقية، ولعل أبرزهم: أبان بن تغلب[١٤]، وبريد بن معاوية العجلي[١٥]، وزرارة بن أعين[١٦]، ويونس بن عبد الرحمن[١٧]، وعثمان بن سعيد العمري[١٨]، وابنه محمد بن عثمان[١٩]، وغيرهم.

فكانوا مخازن علم الأئمة، ولذلك جهد عليهم السلام قدر الإمكان أن يجعلوا منهم الفقهاء، والعلماء، والمفكرين، والواجهة الثقافية التي تعكس ثقافة أهل البيت عليهم السلام، وذلك من خلال تشجيعهم على إعطاء الفتاوي الخاصة بالمسائل الدينية، من أجل أن يأخذوا دورهم الطبيعي في المجتمع الإسلامي في الوقت الذي يؤدّون فيه خدمة كبيرة في المحافظة على الأفراد المسلمين.

وقد سأل العمري - أحد أصحاب الأئمة عليهم السلام - عن مسألة فقال: (محرم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي، فليس لي أن أحلّل ولا أحرّم)[٢٠]. وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لمعاذ بن مسلم النحوي[٢١]: (بلغني أنك تقعد في الجامع فتفتي الناس؟ قلت: نعم، وأردت أن أسألك عن ذلك قبل أن أخرج. إني أقعد في المسجد فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء، فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون، ويجيء الرجل أعرفه بمودتكم وحبكم فأخبره بما جاء عنكم، ويجيء الرجل لا أعرفه ولا أدري من هو، فأقول: جاء عن فلان كذا، وجاء عن فلان كذا، فأدخل قولكم فيما بين ذلك، فقال لي:

اصنع كذا فإني كذا أصنع)[٢٢].

وعنه عليه السلام قوله: (اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحنون من رواياتهم عنا، فإنا لا نعدّ الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدثاً، فقيل له: أو يكون المؤمن محدثاً؟ قال: يكون مفهماً، والمفهم المحدّث)[٢٣].

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ارشدوا الناس للاقتداء بهم إذا تعذر عليهم الوصول إلى الأئمة عليهم السلام، فعن أحمد بن اسحق - أحد اتباع الأئمة - عن أبي الحسن عليه السلام (سألته وقلت من أعامل؟ وعمن آخذ؟ وقول من أقبل؟ فقال العمري ثقتي، فما أدّى إليك عني فعني يقول، فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون. قال: وسألت أبا محمد عليه السلام عن مثل ذلك فقال العمري وابنه ثقتان، فما اديّا إليك عني فعني يؤديان، وما قالا لك فعني يقولان، فاسمع لهما واطعهما، فإنهما الثقتان المأمونان)[٢٤].

وعن إسماعيل بن الفضل الهاشمي قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المتعة، فقال: القَ عبد الملك بن جريح فسله عنها، فإن عنده منها علماً، فلقيته فأملى عليّ شيئاً كثيراً في استحلالها، وكان فيما روى فيها ابن جريح انه ليس لها وقت ولا عدد إلى أن قال: "فأتيت بالكتاب أبا عبد الله عليه السلام فقال صدق، واقر به)[٢٥].

وعن علي بن المسيب الهمداني قال: (قلت للرضا عليه السلام: شقتي بعيدة، ولست أصل إليك في كل وقت، فممن آخذ معالم ديني؟ قال من زكريا بن آدم القمي - أحد أصحاب الأئمة عليهم السلام -، المأمون على الدين والدنيا. قال علي ابن المسيّب: فلما انصرفت قدمنا على زكريا بن آدم فسألته عما احتجت إليه)[٢٦].

وعن عبد العزيز بن المهتدي قال: (قلت للرضا عليه السلام إن شقتي بعيدة فلست

أصل إليك في كل وقت، فآخذ معالم ديني عن يونس مولى آل يقطين؟ قال: نعم)[٢٧].

التسلسل الشرعي للمرجعية:ـ

ينطلق تصور الهيكل العام للمرجعية من نظرية الإمامة، التي تؤمن بأن ولاية أمر المسلمين وإمامتهم بعد النبي ﷺ، هي للأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام وإنها امتداد لحركة الأنبياء والمرسلين، سواء في تشخيص طبيعة هذا الحق والمنصب، من حيث انه منصب الهي يستحقه الإنسان من خلال التعيين المباشر له من قبل الله تعالى، كما هو الحال في الأنبياء والمرسلين، أو بالواسطة، كما هو الحال في الأئمة والأوصياء، حيث أوصى النبي ﷺ لعلي عليه السلام: أن يكون إماماً من بعده، وهكذا بالنسبة إلى بقية الأئمة عليهم السلام، أم في خصائص الشخص ومميزاته، حيث يشترط في النبي والإمام المنصوب الدرجة العالية من الكمالات الإلهية التي يعبّر عنها بـ(بالعصمة).

أو في طبيعة المسؤوليات والواجبات والحقوق تجاه الأمة، أو الحقوق التي تجب عليها، حيث تجب الطاعة له، وله حق ولاية الأمر، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وعليه: أن يتحمل مسؤولية إبلاغ الرسالة، وتزكية المؤمنين وتربيتهم، وتعليمهم الكتاب والحكمة، ورعاية شؤونهم، والمواساة لهم في حياتهم، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٢٨].

إن النظام الذي وضعه أهل البيت عليهم السلام لتنظيم المجتمع يرتكز على هذه القاعدة النظرية، فالإمام في زمن حضوره وشهوده، وإن لم يكن مبسوط اليد في القدرة، إلاّ أنه مع ذلك لابدّ من توفّر هذه الخصوصيات فيه، ويتحمل تلك المسؤوليات والواجبات وله تلك الحقوق، ولكن بالقدر الذي تسمح به

الظروف المتاحة له.

وأمّا في عصر الغيبة، فالمجتهد الجامع للشرائط، هو الذي يقوم بهذا الدور باعتباره الوريث الطبيعي للأنبياء والأئمة عليهم السلام؛ لأنهم لم يورثّوا ذهباً ولا فضة ولا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثّوا العلم والحكمة.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن العلماء ورثة الأنبياء، وذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه، فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[٢٩].

وهذا التسلسل الطبيعي في الخلافة والمنصب الإلهي، هو الذي يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٣٠].

وعن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن مما استحققت به الإمامة التطهير والطهارة من الذنوب والمعاصي الموبقة التي توجب النار، ثم العلم المنور بجميع ما تحتاج إليه الأمة من حلالها وحرامها، والعلم بكتابها خاصة وعامة، والمحكم والمتشابه ودقايق علمه وغرايب تأويله وناسخه ومنسوخه، قلت: وما الحجة بأن الإمام لا يكون إلاّ عالماً بهذه الأشياء التي ذكرت؟ قال: قول الله فيمن إذن الله لهم بالحكومة وجعلهم أهلها: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ﴾[٣١]. فهذه الأئمة دون الأنبياء الذين يربون الناس بعلمهم، وأما الأحبار فهم العلماء دون الربانيين، ثم أخبر فقال: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾[٣٢]. ولم

يقل: بما حملوا منه)[٣٣].

فالمجتهد الذي يمثل (الأحبار) في هذه الآية الكريمة، لابد أن يتصف بالخصائص المطلوبة في الأئمة (الربانيين)، ولكن بالقدر الذي يتناسب مع مسؤولياته وحقوقه.

إن هذا المنطلق في فهم ورؤية المجتمع هو أمر مهم فيما يتفرع عنه من مسؤوليات وعلاقات وسياسات وأنظمة ومناهج ومواقف تنسجم مع الفهم النظري لحركة الأنبياء ودورها في التأريخ الإنساني والسنن المؤثرة في هذا التأريخ.

شروط المرجع[٣٤]:-

يجب تقليد المجتهد الجامع لشرائط الإفتاء والمرجعية وهذه الشرائط هي:

- الاجتهاد: بأن يكون قادراً على استنباط الحكم الشرعي من مصادره.
- الذكورة: فلا يصح تقليد المرأة.
- الايمان: بأن يكون شيعياً إثنا عشرياً.
- طهارة المولد: فلا يصح تقليد ابن الزنا.
- أن تكون ذاكرته جيدة: فلا يصح تقليد من ينسى كثيراً أو من كان يهجر.
- العدالة: وتتحقق بفعل الواجب وترك المحرمات.
- الحياة: فلا يصح تقليد المجتهد الميت ابتداءً على الأحوط وجوباً.
- الأعلمية: فيجب تقليد المجتهد الأعلم على الأحوط وجوباً.

وظائف المرجعية:

تولت المرجعية جملة من الوظائف منها:

الوظيفة الأولى: الإفتاء[٣٥].

وذلك من خلال إصدار الفتاوي الخاصة بالمسلمين إقتدائاً بالأئمة المعصومين عليهم السلام لتكتمل الصورة التي رسمها آل البيت في احتواء أبناء الأمة الإسلامية ولينتظم بذلك هذا الأمر الديني المهم بين المسلمين.

الوظيفة الثانية: القضاء[٣٦].

يمثل القضاء من أهم القضايا في التنظيم العام للمجتمع الإسلامي عموماً؛ لأنه من الموضوعات الأساسية التي نزلت من أجلها الكتب السماوية، وجاءت بها الرسالات الإلهية؛ وذلك لأن القضاء يرتبط بالنزاع والاختلاف بين الناس، الذي بدأ منذ بداية تكوّن المجتمع الإنساني، وظلّ هذا الموضوع يكتسب أهمية خاصة في جميع الأدوار، حتى يكاد يتصور الإنسان أن موضوع الحكم والدولة إنما هو أمر مرتبط بهذا الموضوع بالأصل، ثم تطور بعد ذلك إلى النظام.

ثم إن موضوع القضاء يبدو معقّداً بعض الشيء، لارتباطه بالنزاع والاختلاف، الذي يرى كل من الطرفين أو الأطراف المتخاصمة أن الحق إلى جانبه، بل قد تكون نتيجة القضاء أحياناً أخرى على خلاف الحق الواقعي، فتزداد الأمور تعقيداً، حيث يراد من صاحب الحق أن يتخلّى عن حقّه ويسكت، بسبب الحكم الذي توصل إليه القاضي، لذلك تحمل رجال الدين هذه المهمة الصعبة، فكانوا خير خلف لخير سلف، إذ بدت بصماتهم واضحة في هذا المجال.

الوظيفة الثالثة: التزكية والتطهير.

التربية والتزكية للناس من خلال الإشراف والرقابة والشهادة على ممارسة الإنسان لدوره في الخلافة، ومواكبة مسيرته بإعطائه التوجيه بالتبشير والإنذار

والوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحكم بين الناس بالقسط والعدل، وتحقيق العزة والكرامة لهم، والتدخل لمقاومة الانحراف، واتخاذ كل التدابير الممكنة من أجل ذلك.

الوظيفة الرابعة: تعليم الناس الكتاب والحكمة[٣٧].

من المسؤوليات المهمة الملقاة على عاتق المرجعية الدينية هو تعليم الناس الكتاب والحكمة وشرائع الإسلام وأحكامه والأخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة، والسنن الإلهية التي تحكم حركة المجتمع الإنساني.

الوظيفة الخامسة: الولاية[٣٨].

لا شكّ أن الولاية والإمامة هي أهم منصب إلهي في النظام الإسلامي كما صرّح بذلك القرآن الكريم، والنصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام[٣٩].

ولعلّ جلالة هذا المنصب وقدسيته من ناحية، وكثرة المدّعين له من الطغاة والظالمين وأئمة الجور من ناحية أخرى، هي التي جعلت أئمة أهل البيت عليهم السلام ينكرون على الآخرين ادّعاءهم له من ناحية، وتأكيدهم لاختصاص هذا المنصب بهم وحدهم من ناحية أخرى.

وهذا يفسّر لنا أيضاً قلّة أو غموض النصوص التي وردت في بيان أن المجتهد العادل والعالم بالأحكام الشرعية له حق الولاية العامة بعد أهل البيت عليهم السلام؛ لأن أهل البيت كانوا بصدد تأكيد اختصاص الولاية بهم بالأصل، لئلاّ تنفتح ثغرة نفسية أو ذهنية تفسح المجال لتصوّر آخر، وهو أن للآخرين الأدعياء مثل هذا الحق، أو تصور أن هذا الحق إنما هو في موازاة حقهم في الولاية.

كما أن الملاحظ أيضاً في نصوص القضاء عموماً هذا الاتجاه وهو حصر القضاء بهم، عدا بعض النصوص التي حاول بعض الفقهاء تفسيرها بتعيين

قاضي الصلح وحكم التراضي.

ومن هنا نجد أن جماعة من الفقهاء يذهبون إلى عدم وجود النص على تعيين المجتهد لهذا المنصب الإلهي، لكنهم أقرّوا أن هذا المنصب الإلهي لا يمكن أن يترك خالياً من المسؤولية، وأن الفرد الذي يمثل القدر المتيقن من المسلمين الذي يتحمل هذه المسؤولية هو: المجتهد الجامع للشرائط، وبذلك ينتهون إلى نفس النتيجة الكلية في تشخيص ان المجتهد هو الذي من المفترض أن يتولى هذا المنصب(٤٠).

وعلى أي حال فهناك مجموعة من النصوص تشير أو يفهم منها هذا الاتجاه النظري في رؤية أهل البيت عليهم السلام للمرجعية الولاية، ومع قطع النظر عن المناقشات التفصيلية لكل واحد من هذه النصوص، إلاّ أنه يجب أن يتولّى الفقيه المجتهد هذه الشؤون.

بل يمكن أن نقول إن هذه الولاية هي حقيقة قائمة في وسط أتباع أهل البيت عليهم السلام يمارسها المجتهدون، ويفتي بها العلماء، مع قطع النظر عن طريقة الاستدلال عليها.

ولعلّ من أفضل النصوص التي يمكن الاستدلال بها على هذا الحكم هو: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(٤١)، والتوقيع المروي عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في قوله: (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم)(٤٢)، حيث يفهم من الحديث أن المراد من الحوادث هو: الموضوعات الخارجية التي يواجهها الإنسان في حركته

اليومية، والتي تحتاج إلى موقف شرعي، فضلاً عن اقتران حجيّة الرواة مع حجيّة الإمام على الناس في الحديث، وهي شاملة وعامة، كما يمكن أن يُفهم هذا المعنى أيضاً من أحاديث القضاء الذي يعدّ من أهم مناصب الولاية وأخطرها.

وبهذه المفردة تكتمل صورة النظرية للمرجعية (نظرية الإمامة) ويصبح المجتهد هو المرجع للمؤمنين الذي يقوم بدور الإمام(٤٣).

مكانة المرجعية في المجتمع:ـ

إنّ المرجعية في أحد أبعادها تعدّ من حيث المكانة والأهمية المؤسسة الثانية في الرتبة أي بعد مؤسسة الدولة والكيان السياسي الإسلامي، والولاية بمعنى الحكومة الإسلامية. فالدولة تعدّ المؤسسة الأولى في النظرية الإسلامية تنظيمياً من حيث الأهمية، والمرجعية هي المؤسسة الثانية، وعلى أساس هذا الفهم نجد في تراثنا الإسلامي هذه القداسة لهذا الموقع الإسلامي، فهي تتولى بصورة إجمالية موقع الدولة ومهماتها في حال غياب الدولة الإسلامية الملتزمة، أو الولاية العامة، وكذلك في حالة عدم الاعتراف بشرعية الدولة في بعض المجالات، أو في ظلّها، إذا كانت شرعية في الجملة، ولكن لملئ الفراغات الخاصة بالمجتمع(٤٤).

ثم إن المرجعية وإن كان لها هذا الموقع التنظيمي، ولكنها من ناحية أخرى لها بُعدٌ عقائدي وهو أن المرجعية تمثّل نيابة وامتداداً للإمامة التي هي امتداد للنبوة، وتعبير عن مسؤوليتها فيها؛ ولذا جاءت المقولة المعروفة: (ولاية الفقيه امتداد لحركة الأنبياء)(٤٥).

المبحث الثاني

المراحل والأدوار السياسية للمرجعية

المراحل التي مرت بها المرجعية:ـ

وقد مرت المرجعية بمراحل عديدة، هي:

المرحلة الأولى: دور المرجعية في الرواية، وهذا ما وردت الإشارة إليه في التوقيع عن الإمام الحجة ﷻ عندما طرح عنوان المرجعية من خلال قوله: (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم)[٤٦].

وكانت المرجعية تتمثل آنذاك ـ أواسط الغيبة الصغرى ـ بأشخاص من قبيل الشيخ الكليني[٤٧]، وابن قولويه[٤٨]، وابن بابويه القمي[٤٩]، وبعد ذلك في الغيبة الكبرى تمثلت بالشيخ الصدوق[٥٠]، وأمثاله من كبار العلماء الذين كانوا يهتمون بقضية الحديث والرواية.

ثم في مرحلة متأخرة نسبياً تطورت المرجعية إلى مرجعية في الفتاوى والعقيدة، حيث كانت بدايات هذا التطور عبر جهود مجموعة من العلماء، من أبرزهم: الشيخ المفيد[٥١]، والسيد المرتضى[٥٢]، الذي في عهده أصبحت أكثر وضوحاً من الناحية الاجتماعية والعملية.

المرحلة الثانية: وقد توضحت معالم المرجعية بصورة أكثر في هذه المرحلة، مع إضافة بعض الخصوصيات، كخصوصية الاستقلال، سواء في التشكيلات أم القاعدة، كما هو الحال في مرجعية الشيخ الطوسي، الذي تأسست في عهده الحوزة العلمية في النجف الأشرف، والتي تعّد أقدم الحوزات العلمية في هذا المجال.

المرحلة الثالثة: بعد ذلك تطورت المرجعية، ولم تعد مقتصرة على قضايا

الفتوى والقضايا العقائدية، بل تصدت للشؤون الاجتماعية والسياسية، وشهدت مراجع أمثال الشيخ الطوسي[٥٣] الذي جمع بين هذين الجانبين، وقد يذكر في هذا المجال أسماء أخرى[٥٤]. وفي هذه المرحلة يلاحظ أحياناً اجتماع كل هذه المسؤوليات في شخص واحد، وأحياناً أخرى تفترق بحيث يكون هناك مرجع مختص بالفتوى والقضايا العقائدية، وآخر مختص بالشؤون الاجتماعية والسياسية.

إستراتيجية العمل السياسي:-

إن استراتيجية العمل السياسي لدى رجال الدين قائم على العديد من الأمور هي:

١- إنّ منهج العمل السياسي القائم على فكرة الفصل الكامل بين طبيعة مرحلة، ومرحلة أخرى.. غير سليم. وانّ الصحيح في منهج العمل الميداني الفعلي هو الدمج بين العمل الثقافي والعمل السياسي والتصدي للمواجهة، ولكن مع مراعاة التدرّج في الطرح، والظروف الموضوعية القائمة فعلاً، سواء على صعيد الأمة أو الحكم أو ظروف المرجعية وإمكاناتها[٥٥].

٢- إنّ المرجعية الدينية يجب أن تعتمد بصورة أساسية على تشكيلاتها الخاصة، التي يجب العناية بها وتطويرها كماً وكيفاً وهذه التشكيلات هي مؤسسات: الوكلاء، والمساجد، والصفوة المؤمنون الذين يلتفون حول هؤلاء العلماء ويشكّلون القاعدة العامة لهم[٥٦].

٣- إنّ التنظيمات الخاصة يمكن أن يكون لها دور مهم في العمل السياسي وفي أطار المرجعية ونشاطها العام لاسيما في بعض الأوساط أو بعض الأعمال والنشاطات، ولكن من خلال تحولها إلى مؤسسات تعبوية

للمرجعية وتحركها السياسي ومواقفها المتحركة. وإلاّ فقد تصبح أجهزة معوقة للتحرك في بعض المقاطع أو المواقف، وإنّ هذه التنظيمات يجب أن تخضع لاشراف المرجعية ورقابتها(٥٧).

٤- إنّ قدرة المرجعية بأجهزتها الصالحة على التعبئة السياسية والجهادية في مواجهة القمع والأنظمة الفاسدة، أكبر من قدرة التنظيم الخاص، كما انّ قدرتها على حماية نفسها وعلى المناورة أفضل، لأنّ المنهج الذي تتبعه المرجعية هو منهج اللامركزية الأكثر قدرة على التعبئة والأكثر مرونة في المواجهة(٥٨).

دور المرجعية في قيادة الأمة:-

إن قيام رجال الدين بقيادة الأمة والنهوض بها يتطلب تحقيق عوامل مهمة يقع في مقدمتها عنصر الاستقلال أي الاستقلال بمفهومه العام الذي يرتكز على تجريد النية لله عن كل ما سواه، ومن ذلك الحكومات والشعوب، فلا يقدم العالم على رضا الله، رضا أحد كائناً من كان محباً كان أم مبغضاً، قائداً أم منقاداً، وإنما هو مجتهد في إخلاص قصده لربه وتحقيق مطلوبه وفق ما يشرع، رضي من رضي وسخط من سخط، يتحرى في كل عمل صالح أنفعه وأحبه لربه، وهو مع ذلك ليس بمعزل عن التواصل مع الحكام والمحكومين، والناس أجمعين يدعوهم بدعوة المرسلين ويبتغي لهم رحمة الله.

فالاستقلال هنا هو استقلال عن كافة الأهواء البشرية والتجرد لرب العالمين سبحانه وتعالى، والقيام له بالقسط ولو على حساب النفس وحظوظها أو الوالدين أو الأقربين، وهذا لا يتعارض مع المشاركة في أعمال الدولة ومؤسساتها ومؤسسات المجتمع، بل قد يكون واجباً عينياً على بعض رجال الدين، حتى لا تخلو الدولة من العلماء الربانيين والدعاة المهتدين والرجال الصالحين(٥٩).

وإن من المهم التأكيد على بعض المصلحين الذين يجب عليهم أو يناسبهم العمل من خلال مؤسسات مستقلة عن أجهزة الدولة أو يختار المسلك الآخر بالعمل ضمن مؤسسة رسمية مع محافظته على استقلاله وعدم انجراره ضمن أعمال لا يدين الله بها، وسلوك هذا المسلك أو ذاك إنما هو وفقاً لحال المصلح ومقتضيات المصلحة التي يقدرها.

وإن هذا الاستقلال هو سبب نجاح تلك المؤسسات وقبولها لدى الخاصة والعامة مع ما تبذله تلك المؤسسات من حسن التواصل مع الآخرين حكاماً ومحكومين مما يجعلها محل الثقة ومرتكز التأثير(٦٠).

دور المرجعية في مواجهة الاعتداءات الأجنبية:ـ

مواجهة الاعتداء الأجنبي امتداد لموقف مبدئي عام أصر عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام في سلوكهم وتعاليمهم يقضي بتناسي الخلاف بين المسلمين عند تعرض الإسلام للخطر، والتوجه للعدو المشترك، حفظاً لكيان الإسلام العام ودفاعاً عن بيضته، لأن الإسلام قبل الإيمان، ولا يعرف الإيمان ولا يصل له الإنسان إلاّ بعد معرفة الإسلام والوصول إليه.

وبدأ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام حينما جانب الظالمين واعتزلهم ورفض الدخول في أمرهم ولم يبايع، ولما تعرض الإسلام للخطر، اضطر للبيعة حفاظاً عليه فقال عليه السلام: (فامسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم، التي هي متاع أيام قلائل، ويزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه)(٦١).

أما الأئمة عليهم السلام من بعده فهم في الوقت الذي منعوا فيه من الجهاد مع

سلاطين الجور، لعدم حفظهم الميزان الشرعي في الجهاد، ولأن الجهاد معهم دعماً لهم، أمروا بالقتال دفاعاً عن بيضة الإسلام.

وقد وردت العديد من الأحاديث يختص بهذا الجانب منها: ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: يرابط ولا يقاتل، وإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل، فيكون قتاله لنفسه ليس للسلطان، لأن في دروس الإسلام دروس ذكر محمد صلى الله عليه وآله[٦٢].

وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (على المسلم أن يمنع نفسه ويقاتل الكفار عن حكم الجور وسنتهم فلا يحل له ذلك)[٦٣].

وقد جرى مراجعنا العظام وعلماؤنا الأعلام على ذلك قياماً بالواجب وتبعاً لأئمتنا عليهم السلام وجرياً على تعاليمهم.

وقد كلفهم القيام بهذا الواجب شططاً، فهم في الوقت الذي يتجنبون السلطة الظالمة ويشجبونها، في الوقت الذي تقف منهم تلك السلطات ومن المؤمنين الذين يرجعون إليهم ويسترشدون بارشادهم أشد المواقف ظلماً وعدواناً وتجاهلاً وامتهاناً، نراهم مضطرين بحكم الواجب الملقى على عواتقهم إلى الوقوف مع تلك السلطات ودعمها في جهاد العدو الكافر، فإن نجحوا لم يشكروا، وإن فشلوا تحملوا تبعية الفشل، وربما انتصر العدو فشفى منهم غيظه[٦٤].

وقد كان لرجال الدين الدور الكبير عبر مختلف العصور في مواجهة الأخطار المحدقة بالأمة الإسلامية، ولعل الخطرين الصليبي والمغولي يأتي في مقدمة تلك المخاطر، فكان الجهاد هو الترجمة الفعلية للخطب الحماسية التي ألقاها رجال الدين والتي أججت الروح القتالية لدى المسلمين.

الجهاد:ـ

إن مفهوم "الجهاد" في الكتاب والسنة جاء بمعنى القتال و كذلك جاء بمعنى أعم و أشمل من القتال إذ قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾(٦٥).

فالجهاد الكبير هنا ليس هو القتال، إنما هو الدعوة والبيان بالحجة والبرهان وأعظم حجة وبيان هو القرآن الكريم، إنه حجة الله على خلقه، ومعه تفسيره وبيانه الذي هو السنة.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾(٦٦). وفي هذه الآية ليس المراد بجهاد المنافقين القتال، لأن المنافقين يظهرون الإسلام يتخذونه جُنَّةً، والنبي ﷺ يقاتلهم بل عاملهم بظواهرهم وحتى من انكشف كفره منهم كعبد الله بن أبي ابن سلول لم يقتله وقال: (لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)(٦٧)، ولكن جهاد المنافقين يكون بالوسائل الأخرى، مثل كشف أسرارهم ودواخلهم وأهدافهم الخبيثة، وتحذير المجتمع منهم، كما جاء في القرآن(٦٨). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٦٩).

وتفسير هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾(٧٠)، أي جاهدوا في ذات الله أنفسَهم وشهواتِهم وأهواءَهم وجاهدوا العراقيلَ والعوائقَ، وجاهدوا الشياطين، وجاهدوا العدو من الكفار المحاربين، فالمقصود الجهادُ في معترك الحياة كلِّها(٧١).

الحكمة من مشروعية الجهاد:

بيّن سبحانه الحكمة من مشروعية الجهاد فقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٧٢). وقال عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(٧٣). فعلى هذا يكون الهدف

والحكمة من الجهاد الأمور التالية:

أولاً: إعلاء كلمة الله تعالى:

لحديث أبي موسى رضي الله عنه إنه قال: جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه -واله- وسلم) فقال: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل(٧٤).

ثانياً: نصر المظلومين:

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾(٧٥).

ثالثاً: ردّ العدوان وحفظ الإسلام:

قال الله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(٧٦). وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٧٧).

وعلى هذا الأساس كانت هناك العديد من الحملات العدائية التي كان للفقهاء ورجال الدين دور كبير في التصدي لها، منها:

أولاً: الحملات الصليبية

أ- الحملات الصليبية وموقف الكنيسة منها:

لقد تعاقبت على المشرق الإسلامي العديد من الحملات الصليبية كانت تتوالى عليه بين الحين والآخر طمعاً في مغانم جديدة، أو رغبة في تحقيق ما عجزت عنه الحملات الأخرى، أو استجابة لتحديات ومخاطر برزت من جانب المسلمين أنفسهم(٧٨)، وقد كان للروح الحربية في الكنيسة الدور الفعال في قيام تلك الحملات، تلك الروح التي قامت في أول الأمر على المودة والمحبة والإخاء، وحب السلام، ولكنها لم تلبث أن أصبحت مصدراً لحروب دموية استمرت عدة قرون. وذلك يرجع إلى دخول عناصر المتبربرة في الدين المسيحي واحتفاظها بنزعتها الحربية التي درجت عليها قبل اعتناقها هذا الدين، والى رغبة الكنيسة في بسط نفوذها على الشرق كما فعل الإسلام من قبل وتأسيس مستعمرات لاتينية فيه، ورغبة الكنيسة الغربية في السيطرة على جميع العالم المسيحي ليكون تحت سلطة حكومة دينية واحدة يرئسها البابا(٧٩).

وقد تمكنت الحملة الصليبية الأولى من إنشاء مملكة وثلاث إمارات كانت أولها في الرها في الجزيرة الفراتية، ثانيتها في في انطاكية على البحر المتوسط، وثالثتها في طرابلس، أما المملكة فكانت بيت المقدس.

وانطلقت الحملة الصليبية الثانية بعد حوالي نصف القرن، لكي ما تلبث أن تعقبتها حملة ثالثة بعد مرور عقود ثلاثة فحسب، ومن ثم راحت الحملات التالية تترى الواحدة تلو الأخرى(٨٠).

ب- موقف رجال الدين المسلمين من الحملات الصليبية

لقد كانت الحروب الصليبية حلقة من سلسلة طويلة في صراع الإسلام ضد خصومه، فالغزو الصليبي ليس أمراً جديداً، ولا ظاهرة غريبة أو استثنائية، ولهذا برز دور رجال الدين من خلال الخطب الحماسية والحث على الجهاد، فكانت المقاومة الإسلامية لهذا الغزو تعبيراً عن استمرار تيار العقيدة في نفوس

المسلمين، لقد كان لرجال الدين الدور المميز في صنع مجاهدين على درجة كبيرة من الفاعلية والقدرة، وقد انتشر هؤلاء في كل الجبهات وقاموا بمقاومة الغزاة في كل الفترات، وعلى مدى قرنين من الزمن لم يضعفوا أو يستكينوا أو يضعوا السلاح.

إذن فالجهاد (ماضٍ- كما يقول الرسول ﷺ - منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال)[٨١].

إذ تسبب سقوط مدينة بيت المقدس بما لها من مكانة في نفوس المسلمين؛ وتخاذل الحكام إزاء العدوان الصليبي في سريان موجات عاصفة من الغضب الشعبي الذي تبلور في رأي عام ضاغط؛ غذّاه العلماء والفقهاء من المراجع العظام بخطبهم الملتهبة وكتبهم ورسائلهم؛ التي أفاضوا فيها في ذكر فضائل بيت المقدس ومكانته؛ وفضل الجهاد في سبيل الله[٨٢].

وقد أسهم العلماء بما لهم من نفوذ روحي كبير في تحريك قوة العامة بما لها من تأثير في الصراع، وكانوا الأسبق إلى اكتشاف قدراتها وخطرها والتعويل عليها.

لقد تحرك وفد من أبناء الشام بصحبة القاضي أبي سعد الهروي[٨٣] إلى بغداد في رمضان سنة ٤٩٢هـ بعد سقوط بيت المقدس، فأوردوا في الديوان الخليفي كلامًا أبكى العيون، وأوجع القلوب، وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا؛ وبكوا وأبكوا، لكن هذا المسعى الشعبي لم يجد الاستجابة المنشودة لدى الخليفة في بغداد، فعادوا من غير بلوغ أرب؛ ولا قضاء حاجة[٨٤].

وكانت مشاركة العلماء بارزة في هذه الحركة الشعبية، كما برز دورهم في إثارة الناس للجهاد، بل شارك بعضهم بالفعل في أعمال الغزو والجهاد، فعلماء مثل القاضي كمال الدين الشهرزوري[٨٥] والقاضي الفاضل[٨٦]

والقاضي بهاء الدين بن شداد[٨٧] والفقيه عيسى الهكاري[٨٨] والعماد الأصفهاني[٨٩] كانوا يحتلون المكانة العالية عند أمرائهم، ويكلفون بالأعمال السياسية ومهمات التفاوض والمراسلات مع الخلافة أو الحكام الآخرين؛ فضلاً عن المشاركة الفعلية في إدارة البلاد وأعمال الجهاد[٩٠].

وكانت للمراجع مشاركة ثقافية وعلمية في الحث على الجهاد وبيان ضرورته وفضله، فقد ألف ابن شداد كتابه "فضائل الجهاد" للسلطان صلاح الدين الأيوبي، وجمع فيه كثيراً من الأحاديث التي تحث على الحرب وجهاد الكفار، وألف ابن الأثير كتاب "تاريخ أتابكة الموصل"، وأهداه إلى السلطان الصغير القاهر مسعود صاحب الموصل تذكيراً له بأمجاد آبائه أمراء الموصل؛ وحثًا له على أن يسلك سبيلهم، وألف أبو شامة كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" تمجيداً لنور الدين وصلاح الدين، وتوجيهًا لأمراء عصره الذين فشا بينهم الخُلف والشقاق، حتى يقتدوا بسيرتهما ويعرضوا عما هم فيه من حروب ومنازعات فرقت كلمتهم، وأطمعت أعداءهم[٩١].

بينما أسهم آخرون في الجهاد العسكري بأنفسهم، فمنذ وقت مبكر من عمر الصراع تجهز جماعة من الفقهاء البغداديين للمسير إلى الشام لجهاد الصليبيين[٩٢]، وشارك الفقيه عيسى الهكاري مع صلاح الدين في معاركه، وأُسر في موقعة الرملة سنة ٥٧٣هـ، فافتداه صلاح الدين[٩٣].

وفي المعركة الكبرى التي نشبت عند عكا سنة ٥٨٥هـ قُتِل الظهير أخو عيسى الهكاري، وكان والي بيت المقدس، وقد جمع بين الشجاعة والعلم والدين، وقُتل جمال الدين أبو علي بن رواحة شيخ ابن الأثير المؤرخ[٩٤]، وفي حصار الصليبيين لدمياط سنة ٦١٥هـ[٩٥] شارك الفقهاء في حشد الناس للجهاد، وفي أعمال القتال نفسها، مثل الفقيه المالكي جلال الدين عبد الله بن شاس

الجذامي السعدي الذي كان يحرض العامة على الجهاد فضلاً عن انه كان يقاتل بنفسه[٩٦].

وتصدى المراجع في دمشق مثل عز الدين بن عبد السلام[٩٧] شيخ الشافعية، وأبي عمرو بن الحاجب[٩٨] شيخ المالكية لتخاذل الصالح إسماعيل حاكم دمشق الذي سلم الصليبيين بيت المقدس وصفد[٩٩] وغيرها، وسمح لهم بدخول دمشق لابتياع السلاح، فأفتى العز بن عبد السلام بتحريم بيع السلاح للفرنج؛ وتوقف عن الدعاء للصالح إسماعيل على منبر جامع دمشق، وظل في معارضته الشديدة حتى أمر الصالح باعتقاله، ثم أطلق سراحه، فاتجه إلى مصر؛ وذلك سنة ٦٣٩هـ[١٠٠].

ثانياً: التأثير الإسلامي على المغول:

يعدّ الغزو المغولي من الأهوال العظيمة التي واجهتها الأمة الإسلامية، وإذا كان الصليبيون قد اعتنقوا الديانة النصرانية، فإن الشعب المغولي قد اعتنق عبادة الكواكب والرضوخ لها كمعتقد ديني، فكانوا يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرّمون شيئاً، فكانوا يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير.

أما عن ديانتهم القديمة فلم تكن بأفضل من تلك، إذ على الرغم من اعترافهم بإله عظيم قادر لا يؤدون الصلاة إليه، ولا يلقون إليه بالمودة، ويعبدون عدداً من الآلهة المنحطة، وبخاصة تلك الحيوانات الشريرة التي كانوا يقدمون اليها بالقرابين والضحايا لما كانوا يعتقدونه فيها من السلطان والقدرة على إيذائهم، كما كانوا يعبدون أرواح أجدادهم القدامى التي كانوا يعدّونها ذات سلطان عظيم على حياة اعقابهم، وبذلك يتبين ان ديانتهم لم تكن معدودة ضمن تلك الأديان التي تستطيع أن تقاوم جهود الأديان الكثيرة

الاتباع والأنصار ذات اللاهوت المنظم الذي يملك قوة الاقناع وسد حاجات العقل، وذات الهيئات المنظمة للمعلّمين الدينيين[١٠١].

وبذلك يتبين لنا كيف يمكن أن يعامل المغول رجال الدين المسلمين، فمما قيل إن الحاكم المغولي كيوك (٦٤٤-٦٤٦هـ/١٢٤٦-١٢٤٨م) قد استقدم أحد الأئمة - بتأثير بعض الطوائف المحيطة به من بوذيين ونصارى - ليناظروه وقد كان ذلك الإمام هو نور الدين الخوارزمي الذي اشتهر بالعلم والورع بين المسلمين، وقد طلبوا منه إثبات صحوة دعوة محمد (صلى الله عليه- واله - وسلم) مع موازنته بسلوك غيره من الرسل وإلا كان مصيره القتل إن هو أعيته الحجة، ولما كانت أدلة تلك الطوائف ضعيفة وخالية من وسائل الإقناع؛ نفضوا أيديهم من تلك المساجلة بالبراهين والحجج ولجؤا إلى طرق العسف، وسألوا كيوك أن يسأل هذا الإمام أن يسجد سجدتين وفق الأحكام الإسلامية والتعاليم المحمدية حتى تتبين أمامهم وأمام الخان حركات عبادتهم، فأمر كيوك ذلك الإمام ومن معه بالصلاة، فخروا على الأرض سجداً، فقام بعض الكفار الذين دعاهم كيوك بإهانتهم وأخذوا يضربون الأرض برؤوسهم، كما اقترفوا معهم بعض الأعمال المخزية، على ان الإمام ومن معه لم يأهبوا لكل هذا واستمروا في صلاتهم من غير أن يقطعوها، ولما انتهى الإمام من صلاته وسلم، رفع رأسه إلى السماء قائلاً: (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخفية)[١٠٢].

ثم طلب كيوك أن يؤذن له بالانصراف وعاد إلى داره هو ومن معه[١٠٣].

وعلى الرغم من تلك الهمجية والوحشية التي اتصف بها المغول و اكتساح جيوش جنكيز خان المراكز الإسلامية، وتحطيم كل مراكز الحضارة ومعالم الثقافة التي تركت القصور والحدائق خراباً وأطلالاً، وبعد أن كان جيشهم مئات الألوف، سكنوا في بلاد المسلمين وتكاثروا، ولم يرجع منهم إلى

موطنهم الأصلي إلاّ القليل[١٠٤]، وقد اعترفوا بأنّ تلك كانت ظاهرةً فريدة انخرمت بها قاعدة علماء الاجتماع في أنّ الأمّة الغالبة هي التي تفرض ثقافتها على الأمّة المغلوبة، ففي الغزو المغولي فرضت الأمّة المغلوبة ثقافتها على المغول، فأسلموا، وكان السبب هو جهود مرجع من كبار علماء الشيعة، هو: محمّد بن محمّد بن الحسن المعروف بـ (خواجة نصير الدين الطوسي)، فقد واجه هذا المرجع الحكيم المدَّ المغولي بحكمةٍ وعُمق، وعَمِل خطّةً كانت موفّقةً حقّقت إنجازاتٍ عظيمة[١٠٥]؛ حيث:

١- ركّز عمله على قادة المغول ابتداءً من طاغيتهم الأكبر هولاكو إلى أبنائه وأحفاده ووزرائهم، وأجاد معهم العلاقة والأسلوب، فأثمرت جهوده بسرعةٍ نسبية، فأسلم على يديه وأيدي تلاميذه أبناءُ هولاكو وكبار قادة جيشهم، وتغيّرت نظرة المغول وشعورهم تجاه الإسلام وأمّته، وبعضهم حَسُن إسلامه، وكان أوّلهم إسلاماً أحمد بن هولاكو وإن كان هولاكو قد أسلم شكليّاً.

٢- أقنع المغولَ أن لا يحكموا بلاد المسلمين مباشرة، بل أن ينصبوا حكّاماً أكفّاء من أهلها أو غيرهم ويُطلقوا أيديهم، أمّا هم فلا يتدخّلوا في الأمور الداخلية للبلاد.

٣- أقنع المغول بتبنّي سياسة الحريّة المذهبيّة، وسياسة الإعمار، فكان ذلك هو برنامج الحكّام المنصوبين من قِبل المغول، حتّى ظهرت ثماره خاصّةً في العراق، فشهد المؤرّخون بأنّ نهضةً ثقافيّة وإعماريّة قامت أفضلَ ممّا كانت عليه في عهد الحكومة العبّاسيّة.

٤- اهتمّ بالبحث عن الكفاءات العلميّة والإداريّة والسياسيّة[١٠٦]، في طول البلاد وعرضها، فقام بجذب تلك الكفاءات ورعايتها، وإطلاق يدها في العمل والإبداع.

ونتيجة لذلك ظهر في مرصد مَراغة وجامعتها، وجامعات المستنصريّة والنظاميّة، والحلّة وغيرها من حواضر العلم، عشرات الأطبّاء والمهندسين والفلكيّين، والعلماء من كلّ علم، فأثْرَ بعمله ومؤلّفاته حياةَ الأمّة. وكان عمل هذا المرجع وتلاميذه عملاً واسعاً شمل المناطق التي احتلّها المغول، وهي أغلب العالم الإسلامي، وكذلك كان عملاً متنوّعاً، فيه البُعد: العلمي، والاجتماعي، والسياسي، والإداري. وكان عملاً عميقاً أيضاً، في: اختيار الطاقات، ووضع الخطط، وإقناع القادة بها، وتوعية الناس عليها.

وكان الجزء الأصعب في تلك الأعمال عطفَ أذهان ملوك المغول وقلوبهم من الوثنيّة إلى الإسلام، وتبديلَ تعطّشهم للدماء والتدمير والسيطرة إلى حبّ الهدوء والتقوى وخدمة الناس. وذلك أمرٌ لم يتمكّن منه إلاّ المرجع الشيخ نصير الدين الطوسي، بما آتاه الله تعالى من شخصيّةٍ جذّابة حتّى لأعدائه، ولذلك كانت المرجعية بمثابة قارب النجاة للأمّة من سوء أفعال الحكّام وجهازهم، وأنّ اتّهامه بأنّ لهم يداً في غزو المغول هو من أكاذيب خصومه[١٠٧]. و أنّ نصير الدين الطوسي قد قام بِدَور المُنقذَ للإسلام والمسلمين من شر المغول، فاستطاع تحويل بعض قادة المغول من وحوشٍ مدمّرين مُخرِّبين إلى مسلمين يتبنّون سياسة الحريّة المذهبية والحرية العامة، وسياسة الإعمار، وتشجيع العلم والعلماء. وقد حقّق الحكم المغولي بتبنّيه مذهبَ التشيّع في مدّةٍ قصيرة ما عجز عنه حكم السلطة المترفة المتعصّبة في قرون طويلة[١٠٨].

وبمرور الوقت بدأ المغول بالتخلي عن بربريتهم الأولى حين وجدوا أنفسهم جنباً إلى جنب مع هذه الشعوب ذات الحضارة الزاهية والأديان الراقية[١٠٩]، فهدأت ثائرتهم وتركوا التخريب والتدمير وظهروا بمظهر التسامح مع أصحاب الديانات الأخرى[١١٠].

طبيعة العلاقة بين الطوسي وهولاكو:

يعد الطوسي من النماذج العلمية المتميزة التي قلما أنجب نضيرها التاريخ، وقد كان لهذه الشخصية الدور الكبير إن لم نقل في صد الهجمات المغولية، فعلى الأقل في التخفيف بشكل كبير منها، إذ كان الطوسي أثناء الغزو المغولي لا يزال سجيناً في إحدى القلاع المسماة قلعة الموت وبقي في أسره حتى أطلق سراحه أخيراً على يد المغول، وأكرمه أهالي الديلم لعلمه بعلم النجوم وصار في عداد وزرائهم، وحضر بين يدي هولاكو فحظي عنده بمعاملة خاصة(١١١).

أثارت علاقة الطوسي بهولاكو جدلاً ونقاشاً حادّين، فعدّها بعضهم أنها كانت نتيجة لمراسلات حصلت بين هولاكو والطوسي، ورأى آخرون أنها كانت نتيجة طبيعية لسمعة الطوسي الفلسفية الجيدة، ولكن الواقع كان غير ذلك، حيث لم يكن هولاكو ممن يستسيغ الفلسفة، والراجح أنها كانت نتيجة اشتهار الطوسي في علم الفلك والنجوم والاختبارات، ولم يكن الطوسي الوحيد الذي أبقى عليه، بل أبقى أيضاً على رجلين آخرين هما موفق الدولة ورئيس الدولة وذلك لكونهما طبيبين(١١٢).

وممّا يروى أن هولاكو كان قد اصطحب الطوسي في حملته على بغداد عام ٦٦٥هـ/١٢٥٧م، ما جعل الطوسي موضع انتقاد شديد من جانب المؤرخين، فشكك بعضهم في إسلامه، ووصل الأمر بآخرين منهم إلى حدٍّ اتهامه باعتناق الوثنية، في حين حمّله فريق ثالث مسؤولية سفك الدماء في بغداد وانتهاك الحرمات والتنكيل بالإسلام والمسلمين، فضلاً عن اتهامه بتهوين أمر قتل الخليفة المستعصم بالله.

بينما نجد أن فريقاً آخر نظر بإيجابية إلى هذا الاصطحاب، حيث يبين إن الطوسي انصرف وهو في بغداد إلى إنقاذ أكبر عدد ممكن من أرواح الناس،

وخاصة الفلاسفة والعلماء والفلكيين، حيث تمكن أن ينتزع من هولاكو أمراً يقضي: بأن يقف عند باب الحلبة ويؤمِّن للناس الخروج من هذا الباب، فأخذ الناس يخرجون جماعات كثيرة، هذا عدا تمكنه من إنقاذ الكتب النفيسة والآثار العلمية، حتى غدت هناك مكتبة علمية تحوي أكثر من أربعمائة ألف مجلد[١١٣].

أمَّا عن دوافع الطوسي في خدمة هولاكو ومرافقته إلى بغداد، إنما تعود، كما يشير بعض المؤرخين[١١٤]، إلى أن الطوسي تيقَّن من استحالة النصر العسكري على المغول بسبب الانحلال التام للعالم الإسلامي، نتيجةً لما لحق به من ضعف، وإدراكاً من الطوسي أن الطامَّة الكبرى ستحلُّ بالمسلمين إذا ما استطاع المغول الهيمنة فكرياً عليهم تمهيداً للقضاء على الإسلام[١١٥]، فاستغل الطوسي حاجة هولاكو إليه لخبرته في علم النجوم الرصد فأنقذ ما أمكن إنقاذه من التراث الإسلامي المهدَّد بالزوال، وقد اعتمد المرجع الطوسي أسلوباً فريداً في رد الغزو المغولي والنهوض بالأمة ثقافياً وعمرانياً، هو أسلوب العمل بنفسه على أهم الأصعدة ومع أعلى مراكز القرار، وفي الوقت نفسه العثور على الطاقات القابلة للنبوغ، وتنميتها وإطلاقها في الأمة في كل المجالات[١١٦].

كان الطوسي يركز نظره على الشخصيات النابغة، فعندما عاد من زيارته للحلة سئل عما رأى فيها؟ فقال: رأيت خِرِّيتاً ماهراً وعالماً إذا جاهد فاق - يقصد المحقق الحلي - والعلامة الحلي الذي كان عمره يومذاك بضع عشرة سنة.

وعندما وجد محمد الجويني وأولاده تبناهم ودعمهم عند هولاكو وحماهم من غضبه وبطشه، حتى كانوا وزراءه وحكام العراق لأكثر من عشرين سنة فأعادوا عمرانه بأحسن مما كان في زمن الخلافة العباسية[١١٧].

وعندما رأى ابن الفوطي[١١٨] غلاماً بيد المغول خلصه منهم وعلمه ووظفه، وعندما رأى المشايخ آل الحموئي قوّى موقعهم عند هولاكو وعند أولاده، فكان إسلام شخصيات المغول على أيديهم.

وهكذا العديد العديد من الأطباء، والمهندسين، والفلكيين، والسياسيين، الذين اختارهم واعتنى بهم، وفتح لهم أبواب العلم والعمل، وقد ذكر له تلاميذ ومعتمدين عديدين في العلوم والمجالات المختلفة وروي أن قطب الدين الشيرازي محمود بن مسعود كان (من كبار تلامذة النصير الطوسي وكان مبجلاً عند التتار وجيهاً متواضعاً حليماً)[١١٩].

مدى تأثير الطوسي على هولاكو وأولاده

قال الأستاذ الأزهري الشيخ عبد المتعال الصعيدي[١٢٠]:

(استطاع نصير الدين الطوسي أن يهزم بالعقل والعلم الدولة الطاغية الباغية، وأن تنجح خططه في تحويل المغول من وثنيين إلى مسلمين).

وقال السيد الأمين[١٢١] (استطاع بتأثيره على مزاج هولاكو أن يستحوذ تدريجياً على عقله، وأن يروض شارب الدماء فيوجهه إلى إصلاح الأمور الاجتماعية والثقافية والفنية، فأدى الأمر إلى أن يوفد هولاكو فخر الدين لقمان بن عبد الله المراغي إلى البلاد العربية وغيرها ليحثّ العلماء الذين فروا بأنفسهم من الحملة المغولية فلجؤوا إلى إربل والموصل والجزيرة والشام ويشوِّقهم إلى العودة، وأن يدعو علماء تلك البلاد أيضاً إلى الإقامة في مراغة).

وذكر أيضاً[١٢٢] انه استطاع أن (يستغل الجبار الطاغية فيقيم تحت سمعه وبصره مكتبة الإسلام ويشيِّد مدرسة الإسلام، ويقيم مجمع علماء الإسلام، - وانه - سيستطيع بإخلاصه وإيمانه الذين لا حد لهما وبعقله الكبير

وفكره المنظم وتدبيره الحازم أن يُشرب قلوب المغول الميل إلى الإسلام ثم اعتناق الإسلام).

فأعد لهذه المرحلة الحاسمة جماعات واعية تحسن التخطيط والتنفيذ، كان في الطليعة منها آل الجويني الذين نشأوا على حب أهل البيت وما يبعثه هذا الحب من إخلاص وحمية ونضال وتفانٍ في سبيل الإسلام، ثم في النهاية أسلم المغول على يدي تلاميذ ه، ونجح مخطط الطوسي نجاحه الأكبر.

أما عن دخول هولاكو في الاسلام فكان لذلك سبباً، إذ يروى الكتبي(١٢٣): إن هولاكو عزم على زواج بنت ملك الكرج فأبت حتى يسلم، فأقر بذلك وشهد الشهادتين وشهد عليه بذلك خواجه نصير: الدين الطوسي وفخر الدين المنجم، فلما بلغها ذلك أجابت فحضر القاضي فخر الدين الخلاطي، وتوكل لها النصير الطوسي ولهولاكو الفخر المنجم، وعقدوا العقد باسم ماما خاتون...)

ويظهر من هذا النص التالي أن تأثير نصير الدين على هولاكو جعله يتقبل التلفظ بالشهادتين حتى لو كان شكلياً من أجل الزواج بامرأة.

وكان لهذا الإسلام تأثير كبير على المغول، إذ لم تلبث مدة طويلة حتى دخل السلطان أحمد خان بن هولاكو الإسلام، ثم تبعه بعد ذلك العديد من ملوكهم واتباعهم ودخلت فئات عديدة من المغول إلى الإسلام(١٢٤).

ومهما يكن إسلام قادة المغول وجنودهم سطحياً مخلوطاً برواسبهم الوثنية، لكنه كان البداية حتى تحسن ويبقى العمل الأهم تليين أذهانهم وقلوبهم للإسلام، وهو ما قام به العالم نصير الدين الطوسي وتلاميذه الأفذاذ خاصة آل الجويني والعلامة الحُلِّي.

وعلى المدى البعيد أنجب التاريخ العديد من تلامذة الطوسي، وقد كان

لأبنائه وذريته وتلامذته الدور الكبير عبر العصور اللاحقة على جميع الأصعدة وفي مختلف المجالات لا يسع المجال لذكرها في هذا البحث.

الخلاصة:-

تعود فكرة التعدد في المرجعية الدينية من جهة الاختصاص إلى الأدوار الأولى للمرجعية، غير انها لم تبرز بصورة واضحة آنذاك.

وعلى مر التاريخ تولى مجموعة من المراجع النظر في القضايا الدينية والسياسية وقد قسمّوا هؤلاء المسؤوليات بينهم فأصبح هنالك مرجعيتان:

١- مرجعية في الفتيا والقضايا العقائدية والفكرية، والتي يمكن ان نطلق عليها المرجعية الفقهية أو الفكرية.

٢- مرجعية في القضايا السياسية والاجتماعية.

وعلى ما يبدو ان الفئة الثانية كان لها دور مميز عبر التاريخ، إذ لا يمكن لأحد أن يناقش في أنّ علماء الدين هم ذوي اختصاص في علوم الشريعة، وهم الأكثر فهماً واستيعاباً لها، وبالتالي فهم القناة الوحيدة، التي يصح الرجوع إليها في الأمور الشرعية وتطبيقاتها، كما قد لا تحتاج قضية إخلاصهم إلى مزيد تأكيد، فإنّ قروناً عديدة من عملهم وممارساتهم أكّدت أنهم الفئة التي لم تنحرف في مجموعها وخطّها العام، ولم تبتعد يوماً ما عن الإخلاص والوفاء للأمة والشريعة.

وطبيعي أنّ الحديث هنا ليس عن بعض الأفراد من العلماء الصالحين، أو من علماء السوء، وإنما عن الوضع العام باعتباره كياناً يسدّد بعضه بعضاً.

وانطلاقاً من هذا الواقع، يتضح ان العلماء يقدمون دائماً خط التضحية في سبيل الإسلام، والنصح الصادق للأمة في مختلف محنها ومشكلاتها، وأنهم

يمثلون دائماً الفكر الإسلامي النزيه غير المتأثر بالتيارات الفكرية المناهضة للإسلام أو النابع من إيحاءات الأنا، والهوى، والانفصال عن تعاليم الشريعة.

وقد تمكنوا من تطوير وإنماء المجتمع عبر القرون الماضية، ومع ذلك ما يحتاج إلى تركيز أكثر في معتقدنا السياسي هو الاعتقاد بأنّ العلماء المتصدين للعمل السياسي الديني لهم صفة خاصة من القدسية والاحترام، ويمثلون الفئة الأكثر وعياً والأنضج رؤية في الأمور السياسية أيضاً.

وفي الساحة الإسلامية وجِد أنّ المتصدين الرئيسيين الأكثر تضحية وشجاعة ووعياً، هم علماء الدين، الذين قادوا المسيرة، وتبعهم في هذا العمل الرسالي العديد من أبناء الإسلام، والحركة الإسلامية.

لذا قسمت هذا البحث على مبحثين هما: الأصول الأولى للمرجعية وتطرقت فيه إلى مفهوم المرجعية، دور الأئمة العلويين في تهيئة رجال الدين، التسلسل الشرعي للمرجعية، شروط المرجع، وظائف المرجعية، مكانة المرجعية في المجتمع.

أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه المراحل والأدوار السياسية للمرجعية، استراتيجية العمل السياسي، دور المرجعية في قيادة الأمة، دور المرجعية في مواجهة الاعتداءات الأجنبية، الجهاد، الحكمة من مشروعية الجهاد، الحملات الصليبية، التأثير الإسلامي على المغول، طبيعة العلاقة بين الطوسي وهولاكو، مدى تأثير الطوسي على هولاكو وأولاده.

الخاتمة:-

في نهاية البحث كانت هناك جملة نتائج خرجت بها الباحثة منها:

١- إن تسمية مرجعية إنما هي تسمية مستحدثة.

٢- إن المرجعية هي التكملة الطبيعية لمسيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

٣- مرت المرجعية بأدوار عديدة حتى وصلت إلى ما هو عليه في الوقت الحاضر.

٤- واجه رجال الدين العديد من الصعوبات السياسية خلال تاريخهم الطويل اثبتوا من خلالها أنهم مؤهلون وبشكل عملي لتزعم القيادة الروحية والعملية للمسلمين.

٥- كان للطوسي التأثير الكبير على المغول برزت آثاره بشكل واضح من خلال التغييرات التي حدثت على مر التاريخ.

Abstract

The researche has arrived of the following conclusions;

1-The term AL-Marjiya is a modernate one .

2- AL-Marjiya is the natural complelementation for the tremdsof AL-Aema AL-Masomeen (peace be upon them) .

3- AL-Marjiya under went many stages until it reaches its present state nowadays .

4- The religious men face many polotical difficulties throughoul their long history and they proved that they are qualihed enough for the polotical and spiritcal leading of Moslums.

5- Thye was agreat effect of AL-Tosi on Mogol and that was an evident from the changes that have happened throushout history .

قائمة مصادر البحث و هوامشه وتعليقاته

(١) مجموعة باحثين، آراء في المرجعية الشيعية، (ط. بيروت: دار الروضة للطباعة والنشر، ١٩٩٤)، ص٥٧٤.

(٢) الشاهروردي، محمود الهاشمي، الدين والسياسة، (ط. بيروت، دار الغدير للطباعة والنشر، ٢٠٠٣)، ص٤٧.
(٣) الحكيم، محمد تقي، الاصول العامة للفقه المقارن، ط. مؤسسة آل البيت عليهم السلام، (ط. مؤسسة آل البيت عليهم السلام، للطباعة والنشر، د. ت)، ص٦٤٠.
(٤) مجموعة باحثين، آراء في المرجعية، ص٥٧٥.
(٥) سورة التوبة /آية (١٢٢).
(٦) مجموعة باحثين، آراء في المرجعية، ص٥٧٥.
(٧) الحسني، سليم، المعالم الجديدة للمرجعية الدينية، (ط. بيروت: دار الملاك، ٢٠٠٤)، ص٩٨.
(٨) المصدر نفسه.
(٩) العاملي، مالك مصطفى وهبي، بحوث في ولاية الفقيه، (ط. بيروت: الدار الاسلامية، ١٩٨٩)، ص٣١.
(١٠) الحكيم، الاصول العامة للفقه، ص٦٤٢.
(١١) المصدر نفسه، ص٦٤٣.
(١٢) الصدر، محمد باقر، الاسلام يقود الحياة، (ط. بيروت، ١٩٩١)، ص٨٤.
(١٣) مجموعة باحثين، آراء في المرجعية، ص٥٧٧.
(١٤) أبان بن تغلب ابو سعيد البكري الجريري، مولى بني جرير بن عبادة، كان عظيم المنزلة، لقي علي بن الحسين، وابا جعفر، وابا عبد الله عليهم السلام، روى عنهم، وكانت عندهم منزلة عظيمة.
كان مقدماً في كل من العلم، والقرآن، والفقه، واللغة، والنحو، وله كتب عديدة في ذلك. النجاشي، ابو العباس احمد بن علي(ت: ٤٥٠هـ)، رجال النجاشي، (ط. بومباي، ١٣١٧هـ)، ١٠/١-١١.
(١٥) بريد بن معاوية ابو القاسم العجلي، روى عن ابي عبد الله، وابي جعفر (عليهما السلام)، أحد الفقهاء، له منزلة عند الائمة، ومات في حياة ابي عبد الله عليه السلام. النجاشي، رجال النجاشي، ١١٢/١.
(١٦) زُرارة بن أعين الشيباني: هو عبد ربه بن اعين بن سنسن مولى لبني عبد الله بن عمر السمين بن اسعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وزُرارة لقب له، وقد عرف بـ: زراره لاشتهاره به، يحتمل انه ولد في حدود سنة(٨٠ هـ/٦٩٩م) وانه توفي في حدود سنة(١٥٠هـ/٧٦٧م). الكشي، ابو عمر محمد بن عمر (ت: ٣٤٠هـ)، رجال الكشي، تحقيق: حسن مصطفوي، (ط. اصفهان، د.ت)، ص١٠٣.
(١٧) يونس بن عبد الرحمن هو ابو محمد يونس بن عبد الرحمن، مولى علي بن يقطين بن موسى مولى بني اسد، ومن كبار علماء الامة الاسلامية وكانت له منزلة سامية عند الامام الكاظم عليه السلام واخذ منه العلوم والمعارف، ومن بعده اختص بولده الامام الرضا عليه السلام. النجاشي، الرجال، .

٤٢٠/٢. ولزيادة التفاصيل ينظر: البغدادي، محمد جواد الحسيني، المعين على معجم رجال الحديث لابي القاسم الخوئي، مراجعة: محمد الفلسفي، ط١، (مؤسسة الاستانة الرضوية المقدسة، ١٤١٥هـ)، ص ص ١٨٤- ١٨٥.

(١٨) عثمان بن سعيد العُمري، يكنى ابا عمرو، وعرف ايضاً بالدهان والسمان، أحد اصحاب الائمة، مارس دور الوكالة عن الامام علي الهادي عليه السلام، وكان يمثله في كل اموره، وقد أحال الامام علي وكلاء آخرين ليأخذوا منه، ثم اصبح وكيلاً للامام العسكري عليه السلام، ومن بعده كان وكيلاً للامام الحجة عليه السلام. الطوسي، أبي جعفر بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، الغيبة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، بهراد الجعفري، ط١، (طهران، ١٣٨١هـ)، ص٢١٧.

(١٩) محمد بن عثمان بن سعيد العَمري، يكنى ابا جعفر، وكيل للامام صاحب الزمان عليه السلام، وله ولأبيه منزلة عظيمة لدى الشيعة. الطوسي، أبي جعفر بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، رجال الطوسي، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد صادق آل بحر العلوم، ط١، (طهران، ١٣٨١هـ)، ص٤٤٧.

(٢٠) الحر العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة ال البيت لاحياء التراث، (د.ط)(د. ت)، ١٨/ ١٠٣.

(٢١) معاذ بن مسلم الهرّاء النحوي، كوفي الاصل، أحد اصحاب الامامين الباقر والصادق عليهما السلام، روى عنهما روايات عديدة، وقد كانت له منزلة عظيمة عند الطائفة. الطوسي، أبي جعفر بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، رجال الطوسي، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد صادق آل بحر العلوم، ط١، (طهران، ١٣٨١هـ)، ص١٤٦.

(٢٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٨/ ١٠٨.

(٢٣) المصدر نفسه.

(٢٤) المصدر نفسه، ١٨/١٠٠.

(٢٥) المصدر نفسه، ١٨/ ١٠٨.

(٢٦) المصدر نفسه، ١٨/١٠٤.

(٢٧) المصدر نفسه، ١٨/ ١٠٦.

(٢٨) سورة الجمعة/اية(٢).

(٢٩) الكليني، ابو جعفر الرازي(ت: ٣٢٨هـ)، اصول الكافي، (ط. ايران: مطبعة حيدري، ١٩٩٦)، ٣٢/١.

(٣٠) سورة المائدة/آية(٤٤).

(٣١) سورة المائدة/آية(٤٤).

(٣٢) سورة المائدة/آية(٤٤).

(٣٣) ينظر: الحكيم، الاصول العامة للفقه، ص٦٤٠.

(٣٤) الطباطبائي، محمد سعيد، المرجعية الدينية وقضايا اخرى، ط٤، (دار الهلال، ٢٠٠٣)، ص١٣٩.

(٣٥) ينظر: مجموعة باحثين، آراء في المرجعية الشيعية، (ط. بيروت: دار الروضة للطباعة والنشر، ١٩٩٤)، ص١٥٣.

(٣٦) الحكيم، الاصول العامة للفقه، ص٢٩.

(٣٧) المصدر نفسه، ص٣١.

(٣٨) المصدر نفسه.

(٣٩) الصدوق، ابي جعفر محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: هاشم الحسيني، (ط. قم، ١٣٩٨هـ)، ٤٨٤/٤.

(٤٠) الحكيم، محمد باقر، الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق، (ط. قم، ٢٠٠٢)، ص ١٩٣.

(٤١) سورة المائدة/اية(٤٤).

(٤٢) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ٤٨٤/٤

(٤٣) الحكيم، الحكم الإسلامي، ص ١٩٣.

(٤٤) ينظر: الشاهروردي، الدين والسياسة، ص٦٣.

(٤٥) ينظر: بدران، ابو العينان بدران، اصول الفقه الاسلامي، (ط. الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٥)، ص٢٤٨.

(٤٦) الصدوق، ابي جعفر محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: هاشم الحسيني، ط. قم، ١٣٩٨هـ، ص٢١٤. الامين، محسن، اعيان الشيعة، تحقيق: حسن الامين، (ط. بيروت، ١٩٩٨)، ٢٣١/٦.

(٤٧) ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق، عاش بين القرنين الثالث والرابع وتوفي سنة٣٢٨هـ. الامين، اعيان الشيعة، ٦٥/٩.

(٤٨) ابو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي، توفي سنة٣٦٨هـ صاحب كتاب (كامل الزيارات). ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين(ت؛ ٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (ط. بيروت، ١٩٩٦)، ١٣٤/٣.

(٤٩) ابو الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، المتوفي سنة ٣٢٩هـ الامين، اعيان الشيعة، ٥٣/٧.

(٥٠) ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الملقب بالشيخ الصدوق، ولد في مدينة قم، وتوفي ٣٨١هـ. الامين، اعيان الشيعة، ٩٨/٩.

(٥١) هو الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، ولد سنة ٣٣٦هـ، وتوفي سنة٤١٣هـ. الامين، اعيان الشيعة، ١٦٧/٩.

(٥٢) علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم الامام موسى الكاظم عليه السلام، ولد سنة٣٥٥هـ وتوفي ٤٣٦هـ. الامين، اعيان الشيعة، ١٦/٧.

(٥٣) جمال الدين ابي منصور الحسن بن يوسف الحلي، ولد ٦٤٨هـ وتوفي ٧٢٦هـ. الكشي، ابو عمر محمد بن عمر (ت: ٣٤٠هـ)، رجال الكشي، تحقيق: حسن مصطفوي، (ط. اصفهان، د.ت)، ص٣٢٠.

(٥٤) ينظر: الطباطبائي، محمد سعيد، المرجعية الدينية وقضايا اخرى، ط٤، (دار الهلال، ٢٠٠٣)، ص١٧٩.

(٥٥) ينظر: القبانجي، صدر الدين، المذهب السياسي في الإسلام، ط٧، ايران، مطبعة زيتون، ١٤٢٩هـ، ص٢٢٢.

(٥٦) المصدر نفسه.

(٥٧) المصدر نفسه.

(٥٨) المصدر نفسه.

(٥٩) ينظر: الطباطبائي، المرجعية الدينية، ص٤٨.

(٦٠) ينظر: القبانجي، المذهب السياسي، ص٣٥٠.

(٦١) ابن ابي طالب، علي (ت: ٤٠هـ)، نهج البلاغة، شرح محمد عبده، (ط. بغداد، ١٩٨٤)، ص٥٤٧.

(٦٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١١٨/١١

(٦٣) المصدر نفسه.

(٦٤) الطباطبائي، المرجعية الدينية، ص١٨٢.

(٦٥) سورة الفرقان/اية (٥٢).

(٦٦) سورة التوبة/اية (٧٣).

(٦٧) خليل، عماد الدين، مدخل إلى التاريخ الإسلامي، ط١(بيروت، ٢٠٠٥)، ص١٠١.

(٦٨) عاشور، فايد محمد، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العهد المملوكي، (ط. بيروت، ١٩٩٥)، ص١٣.

(٦٩) سورة العنكبوت /اية(٦٩).

(٧٠) سورة العنكبوت /اية(٦٩).

(٧١) عاشور، الجهاد، ص١٤.

(٧٢) سورة البقرة /اية(١٩٣).

(٧٣) سورة البقرة /اية(١٩٣).

(٧٤) عاشور، الجهاد، ص١٤-١٥.

(٧٥) سورة النساء /اية(٧٥).

(٧٦) سورة البقرة /اية(١٩٤).

(٧٧) سورة الحج /اية(٤٠).

(٧٨) خليل، مدخل، ص ص١٩٠-١٩١.

(٧٩) حسن، ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (ط. القاهرة، د. ت)، ٢٤٣/٤-٢٤٤.

(٨٠) خليل، مدخل، ص١٩١.

(٨١) المصدر نفسه، ص١٠١.

(٨٢) ينظر: قاسم، عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، (ط. دار المعارف، ٢٠٠٤)، ص ص ١٣٤-١٣٥.

(٨٣) هو محمد بن نصر القاضي الشيكاني الهروي، المحدث الاديب، كان يلقب بزين الاسلام، كان في بداية امره وراقاً في بعض المدارس، فسار إلى بغداد وتقلب به الزمان واتصل بالخليفة وصار سفيراً بينه وبين الملوك، ثم ترقت حاله وبلغ ما بلغ. الصفدي، صلاح الدينخليل بن ايبك(ت: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات (ط. بيروت، ١٩٦٢)، ١٢٩/٢.

(٨٤) ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد(ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ط٢، بيروت، ١٩٧٦، ١٩/٩-٢١.

(٨٥) ابو الفضل محمد بن ابي محمد الملقب بكمال الدين الفقيه الشافعي، تفقه ببغداد ودرس فيها، وتولى القضاء في الموصل، وبنى فيهل مدرسة للشافعية، وقد كان له دور كبير في صد الغزو الصليبي. غامدي، عبد الله بن سعيد، القاضي كمال الدين بن الشهرزوري حياته ودوره في الحياة العامة في اقليم الجزيرة والشام، (ط. دار الثقافة للطباعة، ١٩٩٥)، ص١١.

(٨٦) عبد الرحيم بن علي اللخمي البيساني، اديب ومن ائمة الكتاب، وعلم من اعلام المترسلين، كان من مشاهير وزرراء صلاح الدين الايوبي، وقد تمكن منه حتى قال فيه: (لا تظنوا اني ملكت البلاد بسيوفكم، بل بقلم الفاضل). ابن كثير، اسماعيل بن عمر(ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ط. دار الحديث (د.ت)، ٢٣٩/١٢. ولزيادة التفاصيل ينظر: شكيل، هادي الدجاني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (د. ط، ١٩٩٩)، ص ٤٣.

(٨٧) احمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين ابو العباس البرمكي الاربلي الشافعي، ولد بأربل سنة٦٠٨هـ، وكان فاضلاً، بارعاً، متفقهاً، عارفاً بالمذهب حسب الفتاوي، جيد العزيمة، علامة في الادب. ابن تغري بردي، ابو المحاسن الاتابكي(ت: ٤٧٠هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (ط. القاهرة، ١٩٢٩)، ٣٥٣/٧.

(٨٨) ابو محمد عيسى بن محمد بن احمد الهكاري، ينتسب إلى اسرة عريقة، اشتغل في بداية امره بالفقه بالمدرسة الزجاجية بمدينة حلب، وكان فقيهاً، جمدياً، شجاعاً، كريماً، ذا عصبية ومروءة، واتصل فيما بعد بأسد الدين شيركوه، عم السلطان صلاح الدين الايوبي، فصار اماماً له بعد ذلك. ينظر: ابن الاثير، الكامل، ٤٢/١٢.

(٨٩) محمد بن صفي الدين الملقب بعماد الدين الاصفهاني، مؤرخ، اديب، شاعر عاصر الدولة الايوبية النورية، ودون احداثهما، توفي في دمشق سنة ٥٩٧هـ. الزركلي، خير الدين(ت: ١٣٩٦هـ)، الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٣، (بيروت، ١٩٨٢)، ١٣٢/٩.

(٩٠) حلمي، محمد، مصروالشام والصليبيون، (ط. بيروت، ١٩٩٨)، ص٢٤٢.

(٩١) المصدر نفسه، ص٢٤٣.

(٩٢) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية ٦٦٩/١٢.

(٩٣) ابن الأثير، الكامل، ٨٥/١٠-٨٦.

(٩٤) وقال عنه ابن الأثير: "وهو من أهل العلم، وله شعر حسن، وما ورث الشهادة من بعيد، فإن جده عبد الله بن رواحة صاحب رسول الله(صلى الله عليه -واله-وسلم) ". الكامل، ١٨٧/١٠.

(٩٥) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٤١/١٢.

(٩٦) ينظر: النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب(ت: ٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الادب، (ط. القاهرة، د. ت)، ١٠٠/٢٩.

(٩٧) ابو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن ابي القاسم بن الحسن الدمشقي الشافعي شيخ الاسلام وبقية الاعلام، ولد سنة(٥٧٧هـ) من اسرة فقيرة، تميز وبرع في الجانب الفقهي حتى لقبه تلميذه الاول ابن دقيق العيد بسلطان العلماء، شهد له بسعة علمه ما تركه للامة من مؤلفات كثيرة عظيمة القيمة، عميقة الدقة في مادتها التي ما زال الكثير منها مخطوطاً ولم يطبع بعد، توفي سنة(٦٦٠هـ) عن ثلاث وثمانين سنة. ينظر: الشرقاوي، عبد الرحمن، ائمة الفقه التسعة، (د. ط)، (د. ت)، ص٨٦.

(٩٨) ابو عمرو عثمان بن عثمان بن عمر بن ابي بكر بن يونس الكردي، ولد سنة (٥٧٠هـ)، من اذكياء العالم، ورأساً في العربية وعلم النظم، درس بجامع دمشق وبالنورية المالكية وتخرج منه، وقد سارت بمصنفاته الركبان، وقد خالف النحاة في مسائل عديدة، واورد عليهم اشكالات كثيرة. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت: ٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء، تحقيق: ابراهيم الايياري، وطه حسين، (ط. القاهرة، ٢٠٠١)، ٢٦٤/٢٣.

(٩٩) مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهي من جبال لبنان. الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ)، تقديم: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، (ط. بيروت، ٢٠٠٨)، ١٩٣/٥.

(١٠٠) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي(ت: ٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تصحيح: محمد مصطفى زيادة، (ط. القاهرة، ١٩٣٤)، ٣٠١/١-٣٠٨.

(١٠١) حسن، تاريخ الاسلام، ١٣٣/٤.

(١٠٢) سورة الاعراف/الآية(٢٠٥).

(١٠٣) حسن، تاريخ الاسلام، ١٥٣/٤.
(١٠٤) ينظر: خليل، مدخل، ص ١٥٣.
(١٠٥) العاملي، علي الكوراني، كيف رد الشيعة غزو المغول، ط١، (بابل، ١٤٢٦هـ)، ص٥.
(١٠٦) المصدر نفسه.
(١٠٧) المصدر نفسه، ص٥٩.
(١٠٨) ينظر: خليل، مدخل، ص١٥٤.
(١٠٩) المصدر نفسه.
(١١٠) المصدر نفسه.
(١١١) ينظر: الامين،، اعيان الشيعة، ٢٣٧/٢٢.
(١١٢) القمي، عباس(ت: ١٣٥٩هـ)، الكنى والالقاب، (د. ط)، (د. ت)، ١١/٣.
(١١٣) الامين، حسن، الاسماعليون والمغول ونصير الدين الطوسي، (ط. بيروت، ١٩٩٧)، ص٥١.
(١١٤) المصدر نفسه.
(١١٥) العاملي، كيف رد الشيعة، ص٥٨.
(١١٦) المصدر نفسه.
(١١٧) الامين، الاسماعليون، ص٤١.
(١١٨) ابو الفضل كمال الدين عبد الرزاق بن احمد بن محمد، ببغدادي المولد، وهو من ولد معن بن زائدة الشيباني، مؤرخ واحد الفلاسفة، اسر على يد التتار فخلصه نصير الدين الطوسي، قرأ على الطوسي الحكمة والادب، فأعجب به، وباشر خزانة الرصد بمراغة زهاء عشرة اعوام، وعاد إلى بغداد سنة ٦٧٩هـ، فصار خازن كتب المستنصرية زمناً، واقام مدة طويلة في تبريز، وفي النهاية عاد إلى بغداد وبقي فيها إلى توفي فيها. الصفدي، فوات الوفيات، ٣١٩/٢.
(١١٩) العاملي، كيف رد الشيعة، ص٥٩.
(١٢٠) الامين، الاسماعليون، ص٥٢.
(١٢١) الامين، اعيان الشيعة،، ٢٣٨/٢٢.
(١٢٢) المصدر نفسه، ٢٣٨/٢٢.
(١٢٣) الكتبي، محمد بن شاكر (ت: ٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، حققه وضبطه وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، (ط. اصفهان، د. ت)، ٥٨/٢.
(١٢٤) العاملي، كيف رد الشيعة، ص٦٧.